

العلم المفتوح: يوتوبيا تكافؤ فرص إنتاج وتشارك المعرفة بين شمال وجنوب العالم

Open Science: a utopia of equal opportunities for the production and dissemination of knowledge between the north and south of the world

دموش أوسامة^{1*}، بوزارة أحلام²

¹ جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، oussama.demmouche@univ-sba.dz

² جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، bouzara.alm.13@hotmail.com

تاريخ القبول: 2024/05/19

تاريخ الإرسال: 2024/02/22

ملخص:

يحظى مفهوم العلم المفتوح بشعبية ورواج كبيرين داخل المجتمعات رغم حداثة، كما أن تحديد أسسه ومبادئه، أو الحديث عن برامج ومشاريع ترتبط به لم تصل بعد مرحلة النضج، وتعود هذه الشهرة التي يلقاها المفهوم إلى ارتباطه بتصحيح المظالم التاريخية التي وقعت على دول جنوب العالم في إنتاج المعرفة تحت غطاء حركات الانفتاح السابقة حسب ما تروج له المنظمات الدولية وعلى رأسها اليونسكو. نحاول بهذه الورقة العلمية الوقوف على جميع التصورات، والمبادرات، والمشاريع السابقة التي ارتبطت بحركة الانفتاح، والتي تشكل اليوم الأساس لاستلهاام مفهوم ومقاربة العلم المفتوح، كما نحاول إعطاء تمثيل جغرافي للشكل الذي أصبحت عليه عمليات إنتاج المعرفة في العالم، والذي نعتمد من خلاله على مجال بحثي جديد ومهم وهو الجغرافيا السياسية لإنتاج المعرفة، حيث تمكنا الخرائط المصممة من طرف المشتغلين بهذا المجال وعلى رأسهم Leslie Chan من رؤية الفجوة المعرفية والرقمية الحاصلة بين دول الشمال ودول الجنوب بالعين المجردة، والتي نتوقع استمراريتها خلال المرحلة القادمة تحت مظلة العلم المفتوح.

كلمات مفتاحية: العلم المفتوح؛ حركة الانفتاح؛ الإنتاج المعرفي؛ الفجوة المعرفية.

Abstract:

The concept of open science is highly esteemed, despite its recent emergence. Its underlying principles, initiatives and endeavors have not fully evolved yet. The concept's allure refers to historical inequities that countries in the Global South experienced in generating knowledge during earlier openness initiatives, endorsed by international bodies as UNESCO. In this paper we aim to explore the historical context of openness movement by examining past perceptions, initiatives, and projects. These elements are integral in shaping the modern concept of open science. Additionally, our study provides a geographic perspective on the evolution of global knowledge production processes. A key area of focus is the emerging field of research known as the geopolitics of knowledge production. Maps developed by scholars, notably led by Leslie Chan, who offer valuable insights into the knowledge and digital disparities between Northern and Southern countries. Such visual representations are expected to play a significant role in ongoing discussions about open science.

Keywords: knowledge gap; knowledge production; openness movement; open science.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

يحظى مفهوم وتصور " العلم المفتوح " باهتمام دولي كبير بالرغم من حداثة (تم اعتماده بشكل رسمي في 2019)، يعود ذلك إلى الدعم القوي الذي توليه حكومات الدول الصناعية الكبرى، والجمعيات، والهيئات، والمنظمات الدولية التي تعنى بقضايا التنمية المستدامة (المفوضية الأوروبية، الاتحاد الأوروبي، المجموعة السبعة، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، اليونسكو، المجلس الدولي للعلوم وغيرها)، والذين يجدون فيه المقاربة الأمثل لتحقيق العدل والمساواة في عمليات إنتاج وتشارك المعرفة مع دول الجنوب العالمي، ونهوض هذه الأخيرة بمشاريعها التنموية. تحمل سياسات حكومات الدول الصناعية الكبرى، وإعلانات وبيانات الجمعيات والمنظمات الدولية لـ " العلم المفتوح " في ظاهرها مبادرات ومشاريع ترتقي بالبحث، والعلوم، والتكنولوجيا في دول الجنوب العالمي، إلا أن الملاحظ والمُدقّق للظروف التي تم من خلالها صياغة فلسفة ومنطق هذا المفهوم، ووضعت على أساسها مبادئه، أو الوتيرة السريعة التي يتم من خلالها نشر مبادراته وتجسيدها بالرغم من أنه لا يزال محل نقاش بين مجتمع الباحثين (Stevan Harnad، و-Jean Claude Guédon، وHarold Varmus وآخرون)؛ يمكن أن يستنتج ضمناً أن هناك محاولة لإعادة بعث حركة " الانفتاح " التي تهيمن عليها الجامعات، والمخابر، والمراكز البحثية، والمكتبات، والناشرون التجاريون، وصناع التكنولوجيا بدول الشمال المتقدمة، والحفاظ على نفس الممارسات السابقة لعمليات إنتاج المعرفة العالمية تحت غطاء "الوصول الحر"، و"المفتوح" وغيرها، والتي هي بالأساس "تقييد"، و"غلق"، و"تراجع"، و"تمثيل غير متكافئ"، و"تهميش" لما يتم إنتاجه في دول الجنوب، وهو الجوهر الذي نبني عليه مفاصل هذه الورقة التي تبحث في يوتوبيا تكافؤ فرص إنتاج وتشارك المعرفة بين هاذين العالمين تحت شعار " العلم المفتوح ".

ننتقل في إجراء هذه الدراسة من التصورات، والمبادرات، والمشاريع السابقة التي ارتبطت بحركة الانفتاح، والتي تشكل اليوم الأساس لاستلهاام مفهوم العلم المفتوح، وتلقيم مبادئه، كما نحاول إعطاء تمثيل جغرافي للشكل الذي أصبحت عليه عمليات إنتاج المعرفة في العالم تحت "غطاء الانفتاح"، وقد استندنا في التوصل إلى ذلك على مجال بحثي جديد ومهم وهو "الجغرافيا السياسية لإنتاج المعرفة"، حيث تمكنا الخرائط المصممة من طرف المشتغلين بهذا المجال وعلى رأسهم الخبير الصيني "Leslie Chan" من رؤية الفجوة المعرفية والرقمية الحاصلة بين دول الشمال ودول الجنوب بالعين المجردة، والتي نتوقع استمراريتها خلال المرحلة القادمة تحت مظلة "العلم المفتوح".

2- قراءة في سياقات صياغة وتطوير مفهوم " العلم المفتوح ":

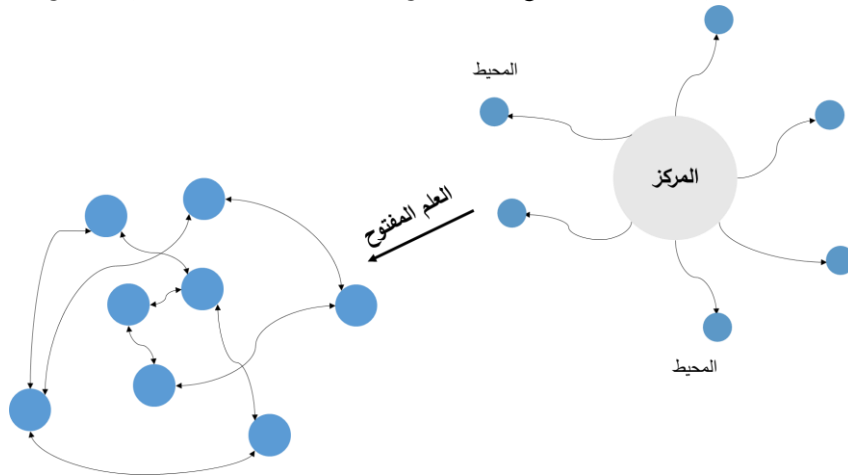
تحاول الكثير من البحوث والدراسات المنشورة بدول الشمال المتقدمة والقليل منها بدول الجنوب والسائرة في طريق النمو الترويج لمفهوم ومقاربة " العلم المفتوح " Open Science في اللغة الإنجليزية، أو Science Ouverte في اللغة الفرنسية، وتشجيع مبادراته، إلا أنه يصعب حسب ما

يرد بهذه الورقات البحثية، أو من خلال المناقشات العلمية بالملتقيات والمؤتمرات التي انعقدت حول الموضوع تقديم تعريف صريح وثابت، وذلك لارتباط المفهوم بحركة غير متماسكة، ثم لتعدد وجهات النظر واختلاف الرؤى حول مفهوم الانفتاح Openness.

لا يختلف مفهوم "العلم المفتوح" Open Science، والممارسات المرتبطة به عن باقي المفاهيم والممارسات التي انبثقت عن حركة الانفتاح، أو الدعوة إلى إتاحة البحوث والمنشورات العلمية، والتي حملت عدة تسميات ولعل أبرزها وأكثرها استخداماً في المجتمعات العربية وهي "الوصول الحر"، و"النفوذ المفتوح"، و"الأرشيف المفتوح" لتكون لغة مشتركة، أو بمعنى آخر وتعبير دلالي أكثر "كائن حدودي" boundary object (Moore, 2017)، حيث تعكس هذه المفاهيم مختلف الرؤى، والمواقف، والاستراتيجيات للمنتمين لحركتي الانفتاح والوصول إلى البحوث.

يتأثر مفهوم "العلم المفتوح" ومبادراته بهذه العلاقة القوية التي تجمعها بالمفاهيم والمبادرات السابقة لحركات الوصول الحر، إذ لم تجلب هذه الأخيرة العدل والمساواة في إنتاج المعرفة بين دول العالم كما كان يروج له، بل بالعكس من ذلك أدت إلى إقصاء وتهميش و/أو عدم الاعتراف بقدر كافٍ بالإنتاج المعرفي الذي يقدم بالدول الفقيرة والسائرة في طريق النمو لعدم مطابقتها للشكل، والصيغة، والمعايير التي تضعها دول الشمال المتقدمة؛ ولذلك يحاول مجتمع الباحثين وكذا المنظمات الدولية وعلى رأسهم اليونسكو تصحيح هذه الرؤية برفع اللبس والغموض الذي يطال هذه الحركة الجديدة والتي ترمي إلى إعادة التوازن بين دول العالم في إنتاج المعرفة، والخروج من منطق المركزية الذي سيطرت عليه الجامعات، ومخابر البحث، والمكتبات، والناشرون التجاريون بدول الشمال المتقدمة إلى منطق التشارك والتعاون الدولي، وقد قام Leslie Chan بتمثيل التصور الجديد الذي تحمله مقاربة "العلم المفتوح" في الشكل التالي:

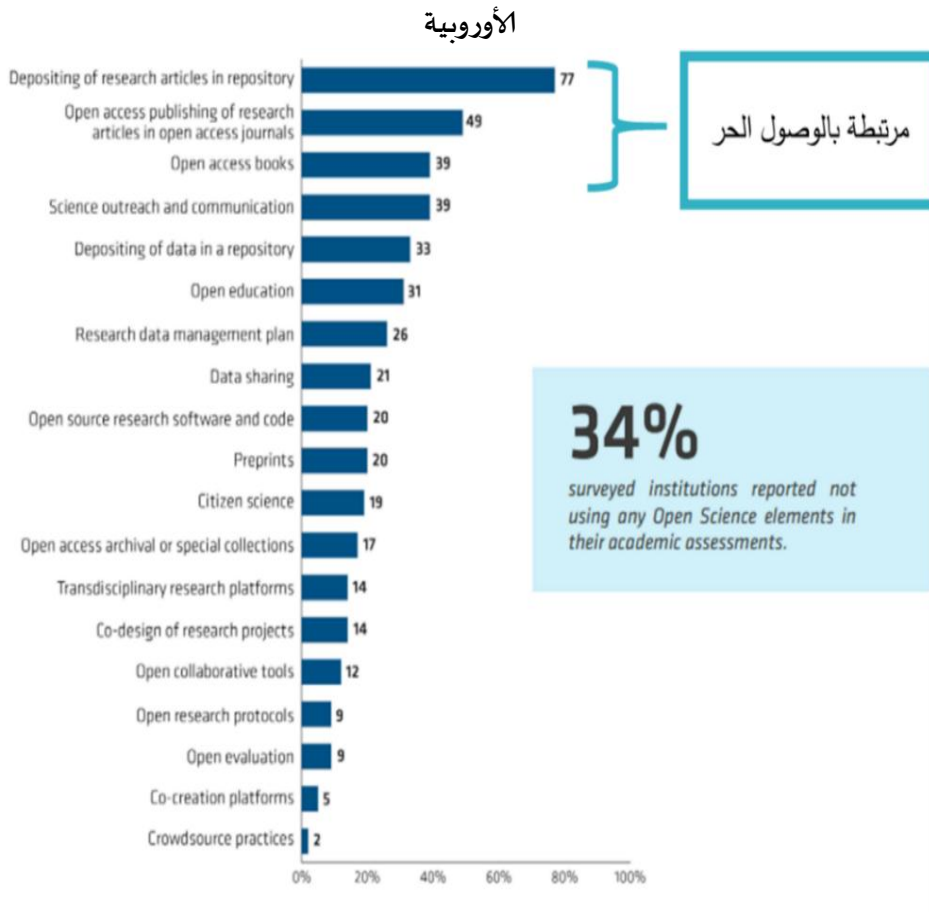
الشكل رقم 01: إعادة توزيع قوى إنتاج المعرفة من منظور العلم المفتوح



(اقتباس من مصدر: (Chan, 2015)

تؤكد نتائج دراسة استطلاعية قامت بها رابطة الجامعات الأوروبية European University Association (EUA) بـ 272 مؤسسة جامعية وبحثية موزعة على 36 دولة أوروبية وقد تم نشرها في تقرير لعام 2021/2020 (أنظر الصورة رقم 01)، حيث أثار هذا التقرير نقطة مهمة ترتبط بتصورات وتمثيلات المنتمين لهذه المؤسسات والمشاركين بهذا الاستطلاع حول مفهوم " العلم المفتوح " وحدوده، وقد كانت النتائج دالة إحصائياً على ارتباط المفهوم بالحركات السابقة للانفتاح حيث ينظر 77 % من المبحوثين إلى المفهوم على أنه عملية إيداع المقالات بالمستودعات الرقمية، في حين يرى 49 % من المبحوثين على أنه يرتبط بحركة النشر بالمجلات ذات الوصول الحر، بينما يجد آخرون ممثلون بنسبة تتراوح بين 33 % و 39 % على أنه الوصول المفتوح للكتب، وأنشطة التواصل العلمي، وإيداع البيانات في المستودعات (Bregt Saenen, 2021).

الصورة رقم 01: نتائج دراسة استطلاعية حول مفهوم وحدود العلم المفتوح بالجامعات



اقتباس من المصدر: (Bregt Saenen, 2021)

يحاول من جهته Pastora MARTINEZ SAMPER متابعة السياقات التي قُدِّم وطُوِّر من خلالها مفهوم " العلم المفتوح " بأوروبا بالاستناد على الدراسات الاستطلاعية التي تشرف عليها رابطة الجامعات الأوروبية منذ 2004، وقد تم وضع هذه التطورات في شكل خطي منظم كرونولوجيا كما هو موضح بالصورة رقم 02 أسفله (MARTÍNEZ-SAMPER, 2022)

الصورة رقم 02: سياقات تطور مفهوم ومقاربة العلم المفتوح



اقتباس من المصدر (Bregt Saenen, 2021).

يجد المتابع لهذه السياقات التاريخية المقدمة حول " العلم المفتوح "، وبعض المبادرات الناشئة في دول الشمال أنه يرتبط جينيا بحركات الانفتاح السابقة والمعمرة لعقدين من الزمن أو أكثر تحت غطاء الوصول الحر للمنشورات والبيانات، ولذلك نعتبر أن مفهوم " العلم المفتوح " هو محاولة أوروبية لإعادة تشكيل أو بناء " كائن حدودي " جديد يعيد التوازن بين دول شمال-شمال في سوق المعرفة العالمية، وقد أكدت دراسة أخرى لرابطة الجامعات الأوروبية على هذا من خلال وضع جميع التجارب السابقة والمفاهيم المرتبطة به كلبينات أساسية للعلم المفتوح والتي تعتمد حسب الصورة رقم 02 الموضحة أعلاه على (EUA, 2022):

- الوصول المفتوح للمخرجات العلمية: يتضمن الوصول الشامل والدائم للمعرفة العلمية، وإنشاء نظام بيئي عادل للنشر العلمي.
- بيانات بحثية عادلة: يمكن العثور على البحوث والوصول إليها، كما تكون قابلة لإعادة الاستخدام.
- النهج المؤسسي لتقييم البحوث: مزيج من الممارسات الكمية والكيفية التي تستخدم لتقييم جودة وتأثير الأنشطة البحثية.

3- العلم المفتوح، القوة التقنية الناشئة لاحتكار الانتاج المعرفي:

قد يكون الحكم بشكل سلبي على مفهوم وتصور " العلم المفتوح " باستخدام مفردات ك " البيوتوبيا "، و " الاحتكار " وغيرها ظالم له هنا نظرا لحدثه، إلا أنه ومن خلال العودة إلى معطيات التجارب السابقة والتي قدمت تحت غطاء " الانفتاح " ك " النفاذ المفتوح "، و " البيانات المفتوحة "، و " المصادر المفتوحة "، و " البرمجيات المفتوحة " وغيرها؛ والتي يتم اعتمادها كبنات أساسية لصياغة وتطوير هذه المقاربة الجديدة، والتي تضعنا هنا أمام حتمية إعادة التفكير في مثل هذه الحركات التي لطالما أطرتها وقادتها الجامعات، والمخابر، ومراكز المعلومات، والمكتبات، والناشرون التجاريون بدول الشمال المتقدمة.

نبدأ ملاحظتنا بالنهج الأحادي السائد منذ عقود من الشمال إلى الجنوب في صياغة المفاهيم والمصطلحات، والمشاريع المرتبطة بحركات البحث والنشر العلمي المفتوح (ارتبطت الإعلانات والمبادرات الأولى بدول الشمال ك: مبادرة بودابست Initiative de Budapest 2002، إعلان برلين Déclaration de Berlin 2003، إعلان بيتيسدا Déclaration de Bethesda 2003 وغيرها) والذي تحركه القوة التقنية لهذه الدول، حيث تسيطر دول الشمال وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والصين، واليابان، وأستراليا، وإنجلترا، وألمانيا وغيرها بقارة أوروبا على حركة النشر وصناعة البرمجيات والنظم، أو المستودعات الرقمية في العالم كما هو موضح بالجدول رقم 01 – الصورة رقم 03 أسفله.

الجدول رقم 01: يوضح توزيع المنشورات العلمية المفتوحة في العالم

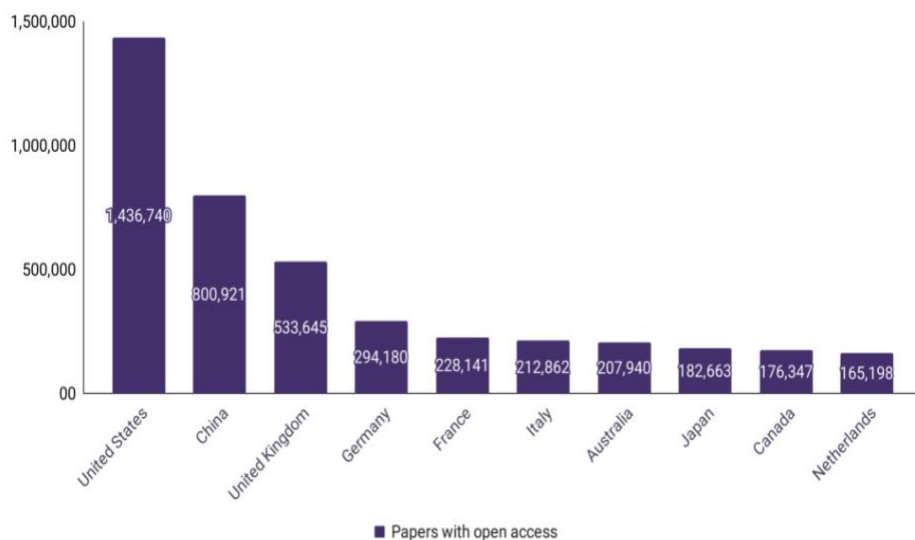
الدولة	عدد المنشورات	المنشورات ذات الوصول الحر
أمريكا	2,262,601	1,436,740
الصين	2,101,622	800,921
إنجلترا	619,838	533,645
ألمانيا	473,494	294,180
فرنسا	319,312	228,141

العلم المفتوح: يوتوبيا تكافؤ فرص إنتاج وتشارك المعرفة بين شمال وجنوب العالم

212,862	361,679	إيطاليا
207,940	373,729	أستراليا
182,663	333,290	اليابان
176,347	342,019	كندا
165,198	209,807	هولندا
153,253	247,602	اسبانيا
149,971	322,646	كوريا الجنوبية
101,731	217,503	البرازيل
99,079	139,809	السويد
87,690	120,523	سويسرا
65,738	109,628	بولندا
65,532	96,430	بلجيكا
57,255	85,559	الدنمارك
56,265	115,287	تايوان
48,842	63,978	فنلندا

اقتباس من المصدر (Curcic, 2023)

الصورة رقم 03: يوضح توزيع المنشورات العلمية المفتوحة في العالم



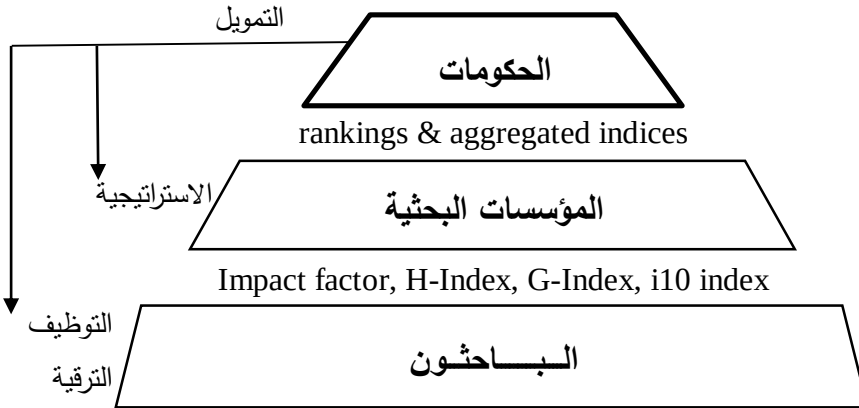
اقتباس من المصدر (Curcic, 2023)

يختفي في وعينا هذا التفوق العلمي والتقني من خلال المفردات التي يوظفها مؤسسي هذه الحركة لجعلها مقبولة ومرغوبة بين صناع القرار، والأساتذة-الباحثين، والطلبة بدول الجنوب، كـ " المفتوح "، و" الحر "، و" المجاني " وغيرها، إذ يصعب رفض مثل هذه الأفكار التي تدعو إلى وصول كامل ومفتوح عالميا.

ينتقي دعاة هذه الحركة المفردات بشكل مدروس يخدم تفوقهم التقني، بينما تعاني أغلب دول الجنوب من تأخر تقني يجعل حركة نشر وتوزيع الإنتاج المعرفي بها بطيء، غير أن هذا لا يلغي وجود معرفة أو إنتاج معرفي بهذه المجتمعات، ومع ذلك تهمش حركات " الانفتاح " هذا الإنتاج لكونه لا يتوافق مع القالب الجديد لإنتاج المعرفة.

لم تتوقف الدول الصناعية الكبرى عند وضع المفاهيم والمصطلحات التي تؤصل لحركة الانفتاح، أو الترويج لقيم ومبادئ العدل والمساواة التي تتضمنها، وارتباطها بالأهداف الإنمائية المحلية والعالمية؛ بل مكنها تفوقها التقني والعلمي الذي تحققه مؤسساتها العلمية، والبحثية، والتكنولوجية خلال العقود الأخيرين من تحديد إطار جديد لمهنية البحث، وكيف ينبغي إجراؤه، وتفسيره، وتعميمه، واستخدامه، كما استطاعت وضع مؤشرات وقياسات جديدة يخضع لها النشر والبحث العلمي عبر المستويات التالية:

الشكل رقم 02: مستويات تدفق قياسات المعلومات داخل الحكومات



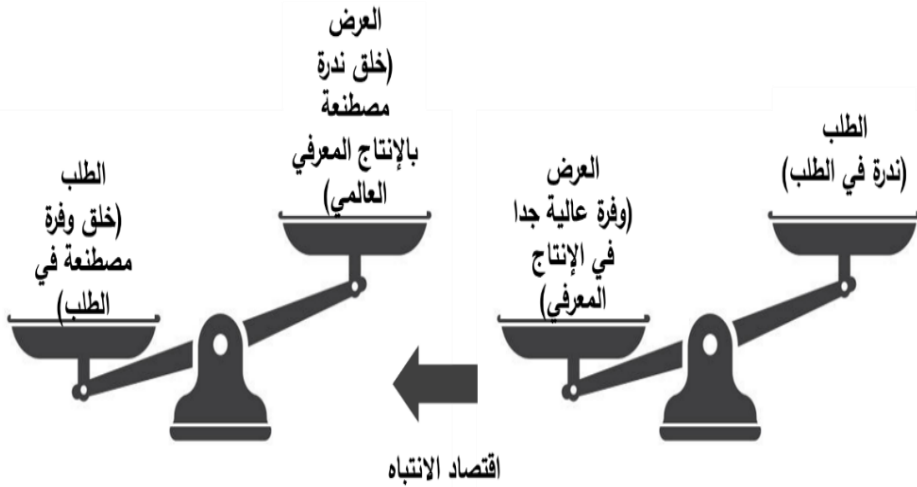
اقتباس من المصدر: (SUSI, 2022)

جاءت صياغة هذه المؤشرات والقياسات الجديدة التي تقود حركتي البحث والنشر العلمي المفتوح ضمن مقاربة اقتصادية خالصة، تعود بوادرها إلى اختلال التوازن في العرض والطلب بسوق المعرفة العلمية نتيجة لإقبال الدول الصناعية الكبرى على مجال البحث والتطوير منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي عبر عنه Vanevar Bush في مقالته الموسومة بـ " As we May Think

"، والتي دفعت بالكثير من العلماء والباحثين المشتغلين في مجال " اقتصاد الانتباه " إلى الحديث عن الوفرة العالية جدا في الإنتاج المعرفي (العرض) والتي تفوق احتياجات القراء (الطلب)، وبعبارة أخرى أصبح هناك ندرة في الطلب بالمقارنة مع الوفرة في العرض (Pierre، 2010).

الشكل رقم 03: يوضح فلسفة خلق الندرة والوفرة المصطنعين في العرض والطلب بسوق

المعرفة العالمية



المصدر: (من إعداد الباحث)

بدأت دول الشمال على هذا الأساس بالبحث عن أساليب ومقاربات جديدة تمكنها من إعادة تشكيل الندرة أو بعبارة أخرى خلق ما يعرف بـ " الندرة المصطنعة " في العرض، ولذلك لجأت إلى وضع مؤشرات وقياسات تمنح اعترافا لبعض المجالات وتقصي أخرى، كما تعطي قيمة لبعض الإنتاج المعرفي وتستبعد الباقي، وقد استطاعت أن تتجاوز من خلال ذلك الاختلال المسجل بين العرض والطلب من منظور القراء، إلا أن ذلك أوقعها في إشكالية جديدة ترتبط باختلال التوازن بين العرض والطلب على مستوى النشر.

يمكن أن نقسم دول الجنوب خاصة العربية منها إلى مجموعتين في تعاملها مع إعلانات ومبادرات دول الشمال لتصور النظام العالمي الجديد القائم على الانفتاح، وذلك بالاستناد على الدراسة التي أجرتها منظمة الاسكوا حول الفوارق الاجتماعية، والاقتصادية، والهيكل القاعدية بهذه المنطقة (الاسكوا، 2019):

- المجموعة الأولى: تضم هذه المجموعة الدول التي لها هيكل أساسية متقدمة نسبيا، ومنظومة جاهزة للبحث والتكوين والابتكار، وإلى جانبها الدول التي لها دخل متوسط مرتفع، وتمتلك رؤى وطنية طويلة المدى ومنظومة جيدة للعلوم والتكنولوجيا والابتكار؛ حيث تجد هذه

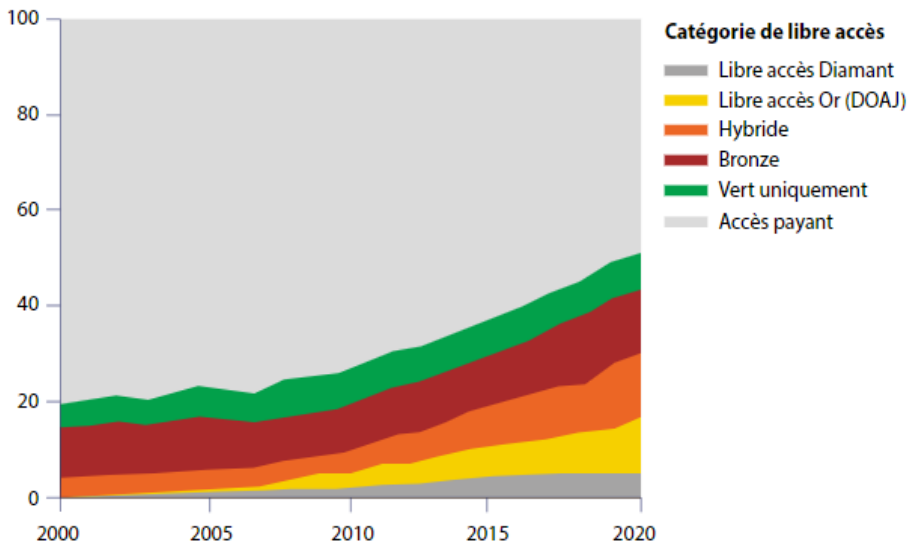
المجموعة في حركات ومبادرات الانفتاح بشكل رئيسي دافع للنشاط البحثي، ومورد لتقدم المعرفة ومشاركتها على مستوى العالم، وضمانة لاستمرارية ممارسات الاتصال العلمي (وسيط رقمي)، وبشكل ثانوي تحاول هذه المجموعة إبراز جاهزيتها وتحسين مكانتها في التصنيفات الدولية (الخضوع لمؤشرات التصنيف)؛

- المجموعة الثانية: تضم هذه المجموعة الدول ذات الدخل المتوسط الضعيف، والتي لديها خطط تنمية متوسطة المدى، ومنظومة غير مكتملة في مجال العلوم والتكنولوجيا والابتكار، والدول ذات الدخل الضعيف أو الخارجة من أزمت، والتي لديها نسيج اقتصادي هش ومنظومة ضعيفة في مجال العلوم والتكنولوجيا والابتكار، حيث تستنجد هذه المجموعة بمثل هذه الحركات والمبادرات لتغطية عجزها، والحصول على إعانات ومساعدات دولية.

إن محاولة فهم وتحليل وضعية دول الجنوب ضمن سياق حركة العلم المفتوح يبرز مرة أخرى التفوق التقني والعلمي لدول الشمال، حيث تدفع هذه الأخيرة بدول المجموعة الأولى للانضمام إلى هذه الحركة من أجل الحصول على ترتيب لا بأس به في تصنيف مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، وقياسات الجاهزية التكنولوجية، في حين ترهق هذه التصنيفات والقياسات دول المجموعة الثانية، بل وتقيد نموها وتغلق منافذ إظهار المعرفة المتوصل لها بهذه الدول والتي تحل مشاكلها التنموية، ولذلك يرى Truth بأن " المعرفة العالمية السائدة ليست بالضرورة المعرفة الناجحة أو التي يستخدمها الناس، بل هي تلك المعرفة التي تتوافق مع ما تم تعريفه كـمعيار " (Frank, 2012).

قد تبرز ملامح تقييد النمو، وإقصاء أو تهميش الإنتاج المعرفي لهذه الدول من خلال فشل هذه الحركة إلى غاية اليوم في الوصول إلى مستوى الانفتاح المتصور وهذا حسب تقدير المفوضية الأوروبية (15 % فقط من المقالات المنتجة في الوصول المفتوح بالطريق الذهبي، وما يزيد قليلاً عن 30 % من المقالات ذات الوصول المفتوح بالطريق الأخضر) (Ghislaïne Chartron، 2017)، حيث يصعب إتاحة الإنتاج المعرفي الخاص بالعديد من المجالات حتى داخل هذه الدول التي تقود حركة الانفتاح (سرية التعامل مع نتائج بحوث جائزة كوفيد 19 على سبيل المثال وليس الحصر)، وهو ما تؤكد عليه الإحصائيات التي قامت اليونسكو بنشرها بسنة 2023 تحت عنوان " Perspectives sur une science ouverte 1: situation et tendances à travers le monde " والتي تضمنت رسماً بيانياً يحدد جميع الطرق المتعارف عليها لإتاحة الإنتاج المعرفي الرقمي، حيث يبرز هذا الرسم البياني الفجوة الكبيرة بين الإنتاج المعرفي المتاح بمقابل مادي والإنتاج المتاح للوصول المجاني خلال الفترة الممتدة من 2000 إلى غاية 2020.

الصورة رقم 04: توزيع الإنتاج المعرفي حسب أساليب وطرق الاتاحة بين سنتي 2000-2020



اقتباس من المصدر: (Unesco، 2023)

تُروج العديد من سياسات دول الشمال المتقدمة لخطاب " العلم المفتوح " من خلال التركيز على شعار تحقيق العدل والمساواة في طرق وأساليب إنتاج وتوزيع المعرفة في العالم، إلا أنها تُضمّن خطاباتها الدعوة إلى تطوير البنى التحتية البحثية، ومستودعات البيانات، وتكييف المعايير، والبروتوكولات، والمعرفات، والبيانات الوصفية التي تسمح بإدارتها، وتوفير الموارد البشرية المؤهلة فنيا لذلك، بل تشكل هذه العناصر الأساس لتحريك دول الشمال المتقدم خاصة الأوروبية منها والتي تدعو حاليا إلى إنشاء مشاعات للمعرفة العالمية Global Knowledge Commons من أجل تكثيف الجهود بين دول العالم للقضاء أو التقليل من المخاطر البيئية، والأزمات الصحية والتي لا تعترف بالحدود حسب تعبيرهم (Chan Leslie, 2011)، إلا أن الدافع القوي من وراء هذه الدعوة هو التخوف من فقدان الميزة التنافسية العالمية نظرا لافتقارهم إلى بنية تحتية وتقنيات عالية الأداء كالتي تمتلكها حاليا الصين، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، كما أن ما يجعل هذه الأخيرة (الصين، اليابان، أمريكا) تبدي رغبة وقبولا للانخراط بهذا المشروع هو الحفاظ على مكانتها الريادية في الاتصال العلمي، كما ترفع مثل هذه المشاريع بالنسبة لهم من نسبة مساهمة باحثهم بالبحوث العالمية، وتزيد من مرئية إنتاجهم المعرفي والذي ينقل علومهم، ومفاهيمهم، ومصطلحاتهم.

4- الجغرافيا السياسية للإنتاج المعرفي في العالم من خلال حركة العلم المفتوح:

يشكل البحث وإنتاج المعرفة ركيزة أساسية لتحقيق الأهداف الإنمائية العالمية باعتراف المجتمع الدولي (التعليم، الصحة، الطاقة، الأمن الغذائي وغيرها)، وهو ما أعطى للمجلات العلمية تموضعا جيدا في السياسات التنموية للدول الصناعية الكبرى وحتى الأقل تصنيعا، حيث شهدت العقود الأربعة الأخيرة نموا كبيرا في عدد المجلات خاصة مع انتشار الانترنت، إذ سمحت البيئة الافتراضية بإعطاء مساحة جديدة لرؤساء التحرير بتخزين البحوث، كما مكن ذلك من زيادة فرص النشر الدولي، وعزز في نفس الوقت من موارد الوصول والحصول على الإنتاج المعرفي.

رغم الحركة القوية التي عرفها النشر والاتصال العلمي في البيئة الرقمية إلا أن الباحثين بدول الجنوب لا يزالون يواجهون مشاكل ترتبط بـ:

- هشاشة وضعف البنية التحتية التي تمكنهم من العمل بما تقتضيه شروط النشر الرقمي الحالي؛

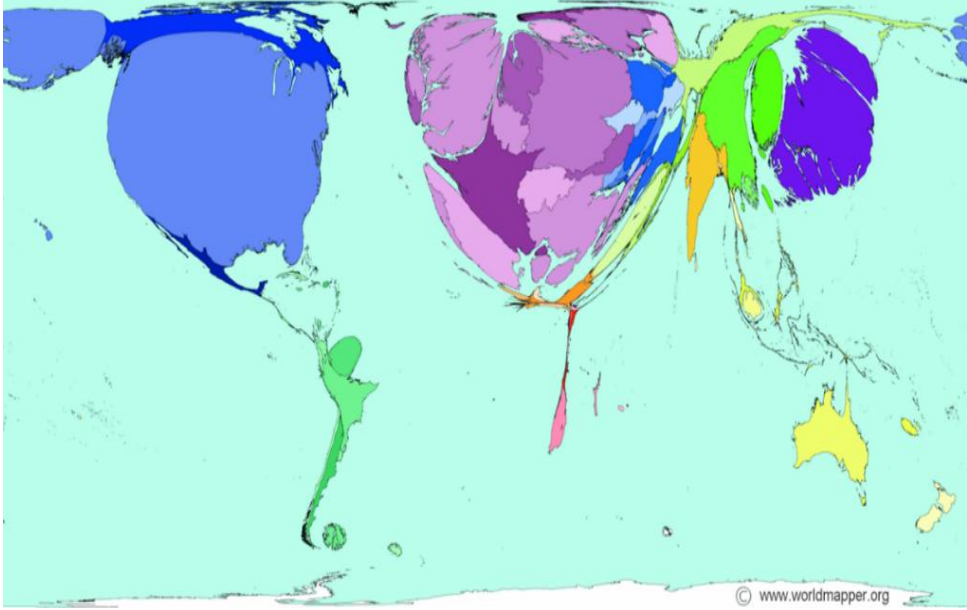
- صعوبة العمل بالقياسات والمؤشرات الموضوعية من طرف دول الشمال لتقييم الإنتاج المعرفي؛
- إقصاء للمجلات العلمية المتواجدة بدول الجنوب من التصنيفات العالمية وذلك لعدم خضوعها للمؤشرات والقياسات الموضوعية من طرف الدول المتقدمة؛

- تهميش الإنتاج المعرفي للباحثين بدول الجنوب والذين يواجهون صعوبة في المشاركة بهذه المجالات التي تتطلب رسوما عالية جدا، ناهيك عن خضوع تحكيم هذا الإنتاج المعرفي لتقييم الأساتذة بدول الشمال المتقدمة؛

- الرسوم العالية للحصول على البحوث المقدمة بهذه المجالات، إذ ليس كل ما هو مفتوح مجاني بالضرورة.

تولد عن هذه الوضعية تمثيل غير متساوي بشكل كبير بين دول الشمال ودول الجنوب في المساهمة والمشاركة في العلوم، وهو ما بدأ العلماء المشتغلين في مجال الجغرافيا السياسية للمعرفة يرصدونه منذ سنة 2000.

الصورة رقم 05: توزيع الإنتاج المعرفي في العالم



اقتباس من المصدر: (Chan Leslie، 2011)

يقدم الباحثون Chan Leslie، وKirsop Barbara، وArunachalam Subbiah هذه الخريطة لإظهار التمثيل غير المتساوي في المشاركة والمساهمة في العلوم بين شمال وجنوب العالم، والذي بني عليه فكرة مضللة مفادها أنه لا يتم إجراء سوى القليل من الأبحاث الجوهريّة -إن وجدت- بدول جنوب العالم، وبالتالي يتم تلبية الاحتياجات المعرفية بالبلدان الفقيرة من خلال تبرع دول الشمال بالمعلومات.

لا يؤدي تدفق المعرفة من الشمال إلى الجنوب بالضرورة إلى تحقيق التنمية بهذه الدول، وهو ما تؤكد عليه العديد من البرامج الدولية المطروحة حالياً ولعل من أبرزها برنامج Research4Life والذي تدعمه العديد من المنظمات الدولية كمنظمة الصحة العالمية، ومنظمة التغذية والزراعة، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، ومنظمة العمل الدولية، وبعض الجامعات كجامعة كورنيل Cornell University، وجامعة ييل Yale University، بالإضافة إلى الرابطة الدولية للناشرين العلميين والتقنيين والطبيين، وأكثر من 200 شريك ناشر دولي، وقد تم توجيه هذا البرنامج لمساعدة مؤسسات البلدان ذات الدخل المتوسط والضعيف والتي تتجاوز حالياً 11500 مؤسسة بـ 125 دولة، حيث تمكن الباحثون المنتظمون لهذه المؤسسات من الوصول والحصول المجاني أو بتكلفة منخفضة على الإنتاج المعرفي في مجال الصحة، والبيئة، والزراعة، والتنمية والابتكار، والقانون والعدالة والمتوفر بكل من Access to Global Online Research in Agriculture و (HINARI) Research for Health.

Access to Research و (AGORA)، و (OARE) Access to Research in the Environment Online، و (GOALI) Research for Global Justice و (ARDI) Innovation for Development and (Research4Life, 2023)؛ وبالرغم من تنوع المعرفة بهذه القواعد وأهميتها إلا أنها لا تلي من جهة جميع احتياجات هذه الدول المرتبطة بمشاكل التنمية المحلية، ومن جهة أخرى يضع القائمون والممولون لهذا البرنامج وصايتهم على هذه الدول من خلال السياسة المعتمدة، حيث تنتقل الدول المستفيدة من برنامج Research4Life بمجرد ارتفاع الناتج المحلي من مجانية الخدمة إلى إبرام اتفاقيات تجارية تستجيب لاحتياجات البلاد وبأسعار معقولة، وهذا ما حدث فعليا مع بنغلادش بعد تسجيلها لارتفاع في الناتج المحلي، حيث قام الناشر التجاري Elsevier (الشريك المؤسس لـ HINARI) بالإعلان عبر موقعه عن سحب إمكانية الوصول إلى مجلاتهم عبر برنامج Research4Life والانتقال إلى برنامج جديد يستجيب لإمكانياتهم المالية ومتطلباتهم البحثية، وقد تحقق ذلك في سنة 2011 من خلال برنامج SciVerse Science-Direct، ثم الانتقال للعمل من خلال عقد كونسورتيوم في 2012 (Wise، 2011).

يبرز جليا من خلال التجربة التي مرت بها بنغلادش أن ما يحرك هؤلاء المتبرعين بالمعلومات والمعرفة تحت غطاء "الوصول الحر" و/أو "العلم المفتوح" هو الأرباح التجارية ونسبة الحصة السوقية بدول الجنوب، ولذلك يشكل برنامج Research4Life كغيره من البرامج العالمية أداة تسويقية بالنسبة لهؤلاء الناشرين، حيث تجد الدول المستفيدة من هذا البرنامج نفسها أمام حتمية التحول أو التدرج بالبرامج المدفوعة والمعروضة من طرف واضعيه، كما يتم تضمين هذه البرامج المدفوعة عادة أساليب استراتيجية لتعويض فترة الوصول المجاني الممنوحة (غير معلن عنها بشكل صريح)، كأن يتم تقديم الخدمة في شكل حزمة واحدة "take-it-or-leave-it" والتي تعرف بـ "الصفقة الكبيرة"، بحيث تكون التكاليف عالية جدا دون أن يكون هناك جدوى علمية وتقنية لبعض قواعد البيانات التي تتضمنها هذه الحزمة (Chan Leslie، 2011).

ما يجب التأكيد عليه في الأخير وهو أن نجاح رؤى ومبادئ العلم المفتوح مرهون بإعادة النظر في هذه الممارسات المعتمدة من طرف الناشرين التجاريين بدول الشمال المتقدمة، أو التمثيلات الجغرافية لإنتاج وتوزيع المعرفة والتي لا تزال تهيمن وتتحكم في مخرجاتها نفس القوى العالمية، وهو ما يمكن التأكيد عليه من خلال الارتفاع المستمر والخيالي للقيمة السوقية للشركات والمؤسسات التي تقود حركة النشر العلمي كما هو مبين بموقع companies market cap.

5- خاتمة:

يقدم مفهوم وتصور العلم المفتوح مشروع جديد للعالم قائم على التعاون، والعدل والمساواة في إنتاج وتشارك المعرفة بين دول الشمال ودول الجنوب، كما يتجاوز هذا المشروع حسب

ما يرد بسياسات حكومات الدول الصناعية الكبرى، والإعلانات والبيانات الصادرة عن الجمعيات والمنظمات الدولية جميع المفاهيم والتصورات السابقة والمرتبطة بحركات الوصول الحر والمفتوح.

إن الشكل والصيغة التي يقدم من خلالها خطاب العلم المفتوح يجعله مقبول عالميا، إلا أن ذلك لا يجعلنا نستبعد العديد من التساؤلات المعرفية في عالم غير متكافئ حول من يوظف هذا المشروع الجديد؟، ولمن يكون هذا العلم مفتوحا؟، وهل يكون العلم مفتوحا ليشمل التقاليد والممارسات المعرفية بدول الجنوب، وهل تتوجه بذلك دول الشمال المتقدمة إلى تعطيل هيكل القوة العالمية المعتمد حاليا في إضفاء الشرعية للمعرفة؟ وكيف سيساهم العلم المفتوح في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

تشكل جميع هذه التساؤلات المعرفية أساس بناء مفاصل هذه الورقة البحثية، والتي كانت الغاية منها إثارة مثل هذه القضايا وليس الوصول إلى نتائج قطعية، حيث تتطلب هذه الأخيرة دراسات وتحليلات مكثفة ومعقدة للباحثين المشتغلين بهذا المجال بدول الجنوب:

جاءت هذه الدراسة لتؤكد على العلاقة الجينية القوية للعلم المفتوح بحركات الانفتاح السابقة التي قدمت تحت مفهوم الوصول الحر، والنفاز المفتوح وغيرها، والتي تحركها القوة التقنية لدول الشمال المتقدمة، والسعي للاستمرارية أو الريادة بسوق صناعة المعلومات والمعرفة الدولية والتي تتغذى دائما بدول الجنوب السائرة في طريق النمو؛

تؤكد جميع سياسات الدول الصناعية الكبرى، وإعلانات وبيانات المنظمات أو الجمعيات الدولية على أن الأساس لنجاح مشروع العلم المفتوح يكمن في قدرتنا على توفير بنية تحتية دولية، ووضع بروتوكولات، ومعايير، وشروط جديدة للعمل، وتكوين كوادر بشرية قادرة على التعامل مع جميع مراحل هذا المشروع (مرحلة الانتاج، ومرحلة الإتاحة، ومرحلة الاستخدام)، وهذا الأمر يجعل إشراك الشركات الخاصة الكبرى التي تقود حركات الوصول الحر والمفتوح لعقود من الزمن ضرورة، حيث تعجز المؤسسات العمومية على دعم وتمويل مثل هذه المشاريع، مما يجعل المشروع يسير في نفس التوجه السابق الذي أحدث فجوة معرفية أو تمثيل غير متكافئ جغرافيا في انتاج المعرفة؛

نلاحظ جيدا اندفاع سريع بدول الشمال المتقدمة لتمويل مبادرات العلم المفتوح، مما لا يترك لدول الجنوب فرصة للمشاركة في مشروع أساسه تكافؤ فرص إنتاج وتوزيع المعرفة، وهذا قد يدل على أن مفهوم " الانفتاح " لم يخرج في رؤى الشمال المتقدم عن دائرة التبرع بالمعرفة لدول الجنوب السائرة في طريق النمو؛

ما يجب التأكيد عليه في الأخير وهو ضرورة الاستثمار في بعض التجارب بدول الجنوب التي تحاول تأطير الإنتاج المعرفي من خلال انشاء منصات وقواعد بيانات للمجلات المحلية، وتدفع رؤساء التحرير لهذه المجلات للحرص على الانخراط في قواعد البيانات العالمية، كما تعتمد نظام تصنيف للمجلات المعتمدة في التوظيف والترقيات بالنسبة للأساتذة الباحثين يأخذ بعين الاعتبار المجلات المحلية غير المدرجة في قواعد البيانات العالمية وذلك لتجنب اقضاء الإنتاج المعرفي المحلي؛ تقودنا هذه التجارب المعتمدة والناجحة في الكثير من دول الجنوب إلى التفكير بجدية في مشروع منصة و/أو قاعدة المعرفة جنوب – جنوب، أين تخضع المعرفة لقياسات ومعايير تتماشى مع الامكانيات التقنية والاحتياجات الانمائية لهذه الدول.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. الاسكوا. (2019). *الابتكار والتكنولوجيا من أجل التنمية المستدامة: آفاق واعدة في المنطقة العربية لعام 2030*. لبنان: مطبوعات الأمم المتحدة.

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية

2. (Research4Life: تم الاسترداد من 09)February , 2023
<http://www.research4life.org/>
3. Alicia Wise 29) .January, 2011 .(Elsevier statement on Research4Life
من الاسترداد thelancet:
[https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736\(11\)60068-8/fulltext](https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(11)60068-8/fulltext)
4. Dimitrije Curcic 02) .June, 2023 .(Open Access Publishing Statistics
من الاسترداد Wordsrated: <https://wordsrated.com/open-access-publishing-statistics/>
5. EUA .(2022) .The EUA Open Science Agenda 2025 .Belgium : European University Association asbl.
6. Joachim Schöpfel Ghislaine Chartron .(2017) .Open access et Open science en débat .Revue française des sciences de l'information et de la communication.
7. Kirsop Barbara, Arunachalam Subbiah Chan Leslie .(2011) .owards Open and Equitable Access to Research and Knowledge for Development .PLoS Med.

8. Leslie Chan 06) .November, 2015 .(The Future of Open Science and How to Stop it | تم الاسترداد من The Future of Open Science and How to Stop it | PPT (slideshare.net)
9. MOUNIER Pierre .(2010) .*Le libre accès : entre idéal et nécessité* . Hermès, La Revue.
10. Pastora MARTÍNEZ-SAMPER .(2022) .*Open Science and Research Assessment Trends and State of Play in Europe* .Open Science European Conference (OSEC) .Paris: European Union.
11. Rita Morais, Stephane Berghmans and Vinciane Gaillard Bregt Saenen . .(2021)*Open Science in university approaches to academic assessment : Follow-up to the 2020-21 EUA Open Science survey* .Belgium : European University Association asbl.
12. Samuel A. Moore .(2017) .*A genealogy of open access: negotiations between openness and access to research* .Revue française des sciences de l'information et de la communication.
13. Toma SUSI .(2022) .*Open Science needs no martyrs But we must recognize the need for reform* .Open Science European Conference (OSEC) .Paris: European Union.
14. Truth Frank .(2012) .*Pay Big to Publish Fast: Academic Journal Rackets* . Journal for Critical Education Policy Studies.
15. Unesco .(2023) .*Perspectives sur une science ouverte 1: situation et tendances à travers le monde* .France : Unesco.